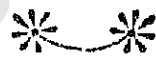


كتاب

« طهارة العرب »

تأليف

الاستاذ الفقيه المالكي الاديب الفؤى النحوى
احمد بن الامين الشنقيطى



الفه الاستاذ اذ كان نزيلا بقازان فى رمضان سنة الف وثلاثمائة وست
وعشرين (١٣٣٦) دفاعا عن الاسلام وذباً عن نبيه عليه الصلاة والسلام . بطلب
رجل من مسامى روسيا اطلعه على كتاب فى « الامومة عند العرب » مؤلف
اصله بقلم عالم يونانى يبحث عن مسألة علمية هي : « الابوة اقدم فى العالم ام الامومة ؟ »
مترجم بقلم داع من دعاة النصرانية استخدم هذه المسألة فى الطعن على طهارة نسب العرب
متذرعاً به الى الطعن فى نسب نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ، مطبوع بقازان من
زمن بعيد قد نشر منه نسخ كثيرة بين علماء روسيا ثم لم يوجد بينهم من يحمله
دينه على الدفاع عن نبيه ويمكنه ادبه من وضع كتاب فى تنزيه العرب عن شين الاشتراك
فى النسوة والازدحام على الفروج وقد كان ذلك الزم شئ يجب عليهم حيث تجددهم
اعجل الناس رداً على كل كتاب يكتبه عالم اسلامى يهديهم الى هدى السلف ويذودهم
عن باطل الخلف . فنحن نشكر حضرة الاستاذ على ما قام عنا بالزم فريضة علينا
وعلى ما خدمنا فى ديننا حين كان ضيفاً كريماً عندنا .

موسى جارا الله .

قازان لليلتين مضتاً من رمضان سنة ١٣٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن رفع منار الحق واعلاه وقوض بنيان الباطل واوهاه .
وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد سيد الاولين والآخرين وعلى
آله وصحبه الطاهرين .

وبعد فيقول جامع هذه السطور ان دعاة النصرانية قد خلعوا ربة
الاداب وتعدوا حدود القانون وصاروا، حيث لم ينجحوا في امر الدعوة،
يهجمون على المسلمين ليفسدوا عليهم دينهم كرها او خدعا . ثم الى
نظرت في كتاب « الامومة عند العرب » فوجدت غرضه الذي يرمى
اليه الطعن في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن طهره الله في الازل
فلا يمكنه الخدش فيه بآخرة . فاردت ان اقيد بعض مافي ذهني من
سيرة القوم دفاعا عن الاسلام وذباً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ليحق
الحق ويبطل الباطل ولو كره المبطلون .

اما صاحب الكتاب المذكور فانه بناه على غير اساس واسسه
على دعائم غير علمية . وجل اعتماده النقل عن سائح يوناني مجهول
الحال لا يعرف لسان العرب ولا عوائدهم ولم يمر ببلد معروف من
بلاد العرب ، او اقوال ضعيفة نقلها بعض المغفلين من اهل التاريخ
ترجع الى كتاب مثالب العرب الذي وضعه زياد ابن ابية . فانه لما
ادعى اباسفيان ابا علم ان العرب لا تقول به ذلك مع علمها بنسبه فعمل
كتاب المثالب والحق بالعرب كل عيب وعار وباطل وافك وبهت .
ثم ثني على ذلك الهيثم بن عدي ؛ وكان دعياً فاراد ان يعر اهل الشرف
تشفيأ منهم . ثم جدد ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه لان

اصله كان يهودياً . ثم نشأ غيلان الشعوبي الوراق وكان زنديقاً ثنوياً
فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن حد الادب بدأ فيه بمشالب
بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب اليهم كل كذب
وزور ووضع عليهم كل افك وبهتان . ووصله عليه طاهر بثلاثين انقاً .
ومما يستدل به هذا المتحامل على بطلان انساب العرب انتساب
بعضهم الى امهاتهم . وسبب خطأ هذا الفهم عدم معرفته لعوائدهم .
فان من عوائدهم انهم ينسبون الشخص الى مرضعته التي لم تلده وربما
كانت مستأجرة . وربما نسبوه الى اخيه او عمه . من هذا تسميتهم شيبة
جد النبي صلى الله عليه وسلم عبدالمطلب . والمطلب كان عمه . وربما
نسبوا الشخص الى زوج امه . واكثر من ينسبون الى امهاتهم الايتام
الذين كفلهم امهاتهم .

لا جرم ان العرب اطهر نسباً من جميع الامم من سالف الدهر الى
ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم . ويؤيد ذلك اعتراف اللورد
كرومر لهم بحفظ النسب ومنع الجارم مع شدة تحامله على المسلمين عموماً
وعلى العرب خصوصاً . ومن كان اللورد كرومر انصف منه فان بينه
وبين الاعتدال مراحل .

وبما حكى مؤلف هذا الكتاب عن المجوس شيئاً يلائم غرضه .
فيجزم بمجرد حدسه واستنباطه ان ذلك كان موجوداً في العرب .
وهذا حكم باطل وقياس فاسد لان مجرد الشك لا يصار اليه مع اليقين
المتداول بين الناس .

قال مؤلف الكتاب المذكور « ان اقدم الاخبار التي وصلت اليها
عن عرب الجاهلية هي ما نقلها السائح اليوناني الشهير سترابون
في معجمه الجغرافي المشهور حيث جاء عن امر الزواج عندهم الى ان قال
ولهم جميعاً امرأة مشتركة يختلفون اليها ... الخ »

اقول لا يمكننا ان نأخذ بنقل هذا اليو ناني وعندنا ما نعلم انه اصح واشهر. فمن ذلك :

ان اقدم العرب طسم وجديس . كانا في الدهر الاول فانقرضوا .
وسبب انقراضهم الانفة مما ادعى هذا المتحامل وذلك ان ملكهم عمليقا
تعدى الحد في الظلم والتجبر . فاتته يوما امرأة من جديس اسمها هزيلة .
وكان زوجها طلقها واراد ان ينزع منها ولدها . فقالت ايها الملك :
اني حملته تسماً ، ووضعته دفعا ، وارضعته شفعا ؛ حتى اذا تمت اوصاله
اراد ان يأخذه كرها ، وان يتركني من بعده ورها . فقال لزوجها
ما حجتك ؟ فقال ايها الملك : انها قد اعطيت المهر كاملاً ، ولم اصب منها
طائلاً ، الا وليداً خاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً . فامر بالغلام ان ينزع
منهما جميعاً ويجعل في غلمانة ؛ وقال لهزيلة : ابغيه ولداً ، ولا تنكح
احداً ، او اجزيه صفداً : فقالت هزيلة : اما النكاح فانما يكون بالمهر ،
واما السفاح فانما يكون بالقهر ، ومالي فيهما من امر . فلما سمع عمليق
كلامها امر ان تباع مع زوجها ويسترقا . فانشأت تقول :

« اتينا اخاطسم ليحكم بيننا * فانفذ حكما في هزيلة ظالما »

« لعمرى لقد حكمت لامتورعا * ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما »

فاحدث هذا الهجوان عمليقا المذكور امر ان لا تزوج بكر من
جديس الا افترعها . حتى كان آخر امره ان فعل ذلك بالشموس ،
فخرضت قومها بقولها :

لا احد اذل من جديس اهكذا يفعل بالعروس

يرضى بهذا يا لقومي حر اهدى وقد اعطى وسيدق المهر

لاخذه الموت كذا لنفسه خير من ان يفعل ذا بعرضه

فلما سمع قولها اخوها الاسود قال لقومه يا معشر جديس : ان هؤلاء

القوم ليسوا باعز منكم في داركم الا بما كان من ملك صاحبهم ؛ وانتم

اذل من النيب . فاطيعوني يكن لكم عز الدهر وذهاب ذل العمر .
 فقالوا نطيعك ولكن القوم اكثر منا واقوى . فقال انى اصنع للملك
 طعاما ثم ادعوه اليه . فاذا جاؤا يرفلون في حللهم مشينا اليهم بالسيوف
 فقتلناهم . وانا انفرد بعمليق ، وينفرد كل واحد منكم بجليسه . فدعاهم
 الاسود فجاءوا . حتى اذا اخذوا مجالسهم ومدوا ايديهم الى الطعام اخذ
 الاسود وقومه سيوفهم من تحت اقدامهم (كانت مدفونة في الرمل .)
 فشد الاسود على عمليق فقتله ؛ وكل رجل على جليسه . فلما فرغوا من قتل
 الاشراف شدوا على السفلة فافنؤهم . ونجا بعض طسم فاستغاث بحسان
 ابن تبع . ففزا حسان جديسا فقتلها وخرب ديارها وتفانى الحيان .
 وهذا فيه دليل جلى على ان الاشتراك لم يكن في العرب
 الجاهلية اصلا . ولو كان الامر كما ذكر المتحامل لا احتجت هزيمة المتقدمة
 به على زوجها وقالت ان الولد ليس منك وانما هو من غيرك . ويدل عليه
 ايضا قولها واما السفاح فانما يكون بالقهر ؛ ولما اشمأز جديس من فعل عمليق .
 ومن قديم غيرتهم قصة اجاء بن عبدالحى . وهو رجل قديم اقدم
 من قصة الشموس المتقدمة . عشق امرأة يقال لها سلمى وكان لها حاضنة
 يقال لها العوجاء فكان اجاء وسلمى يجتمعان فى منزلها حتى انذر بهما
 اخوة سلمى وهم الغميم والمضل وفدك وقائد والحدثان وزوجها . فخافت
 سلمى وهربت هى واجاء والعوجاء . وتبعهم زوجها واخوتها فلحقوا
 سلمى على الجبل فقتلوا هناك فسمى الجبل باسمها . ولحقوا العوجاء على
 هضبة بين الجبلين فقتلوا هناك فسمى المكان بها ولحقوا اجاء فى جبل
 آخر فقتلوه فيه فسمى به . واتقوا بعدها ان يرجعوا الى قومهم فصار
 كل واحد الى مكان فاقام به فسمى ذلك المكان باسمه . وفى هذه القصة
 فائدة اديية هى الرد على النحاة فى قولهم ان اجاء مؤنثة غير منصرفة لانه
 جبل مذكر وسمى باسم رجل . فيكون مذكراً فى اصله .

ومن انفة العرب قتل آكل المزار امرأته هنداً لما سبها
ابن الهبولة وكان غائباً . فلما قدم تبعه وقتله ؛ وانقذها منه وربطها في اذناب
الخيول حتى تقطعت اوصالها . ولم يرض لنفسه ان يمسكها بعد ان نال منها
ابن الهبولة وطره .

ومن انفة نساء العرب قصة فاطمة بنت الحارث بن اليمانية احدى
المنجيات وهي ام الكلمة من بني عيس . وكانت وقعت شحناً بين ابنها الربيع
وابن عمه قيس بن زهير وسبها ان الربيع اغتصب درعاً لقيس وابي
ان يردّها فاعترض قيس امه المذكورة في ظمائن من بني عيس فاقتاد جملها
يريد ان يرتهنها بدرعه . فقالت له اين ضل حلمك يا قيس ؟ اترجو ان
تصطحح انت وبنو زياد ابداً وقد اخذت امهم فذهبت بها يميناً وشمالاً
فقال الناس في ذلك ماشاؤا ، وحسبك من شر سماعه ؟ فارسلتها مثلاً
فعرف قيس ما قالت ، فخلى سبيلها ، ثم طرد ابل الربيع ، بل قيل ابلهم
كلهم فباعها بمكة لعبدالله بن جدعان فقال في ذلك :

« الم يأتيك والانباء تنمى . بما لاقت لبون بني زياد »
« ومحبسها على القرشي تشرى . بادراع واسيف حداد »
كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد
هم فخرؤا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى
وكنيت اذا منيت بخصم سوء دلقت له بداهية نآد
بداهية تدق الصلب منهم بقصم او تجوب عن الفؤاد

القرشي هو عبدالله بن جدعان . وكان قيس باع الابل له . دلقت
زحفت اليه . ونادى صفة داهية يقال نادى الداهية فلانا دهنه . وذات
الاصاد اسم موضع . ولو اخذ امهم لعظم الخطب ولا فضى ذلك الى
سفنك الدماء . فعدل الى الابل . وكان الربيع هو الذى تولى عبء
حرب داحس والغبراء انتصاراً لقيس .

ومن عقل فاطمة الامارية المذكورة سابقا قصتها مع الضيف الذي استضافها فاكرمه واحسنت قراءه فراودها عن نفسها فزجرته فلم يسته. فامرت عبيدها فكشفوه ونحته وبعثت الى ابنها الاكبر فاخبرته بما جرى فاشار اليها بقتله وكل اخوته يشير اليها بذلك سوى الربيع فانه قال ان قتلناه قال الناس فعل بامهم . فسمته الكامل . ثم ان الربيع اكرمه وشيعه . ولما انفصلا عن الناس قال له قبحت من ضيف . ومن اتفة العرب وعدم تساهلهم فيما رماهم به هذا المتعامل قصة النعمان مع المتجردة . فانه لما اطلع على ما بينها وبين المنخل من الريلة قتلها .

ومن امثال العرب القديمة : « كل شيء مهه ما خلا النساء وذكرهن » اي يسير سهل يحتمله الرجل حتى يأتي ذكر حرمة فيمتنع . فمن عدم مسامحتهم في ذكر امهاتهم قصة جذع بن سنان الذي يضرب به المثل : وهي ان عامل الملك اتاه في خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهناً فقال له « ادخله في حرامك » فغضب جذع وقنعه به . فقل « خذ من جذع ما اعطاك . » فذهبت مثلاً .

ومن ذلك قصة عمرو بن كلثوم التغلبي . وملخصها : ان عمرو بن هند الملك المشهور سال هل في العرب امرأة تأنف من خدمة امي ؟ فقل له : ان هند بنت مهلهل ام عمرو بن كلثوم تأنف من خدمة امك . فدعا الملك ابنها للمنادمة وامره ان يستصحب امه معه . فضربت للملك وابن كلثوم خيمة . ولامهما اخرى . وامر الملك امه ان تستخدم ام ابن كلثوم ولو بقليل . فطلبت ام الملك منها ان تناولها شيئاً . فقالت لها « لتقم صاحبة الحاجة لحاجتها . » فلطمتها . فصاحت : « واذا لا امك يا عمرو ؟ » فاخترط سيفه وقتل الملك وقال معلقته المشهورة . منها : تهددنا وتوعدنا رويداً متى كنا لامك مقتويناً

ومن ذلك قصة ابن دارة : فانه هجا زميل بن ابيرد وقال :
« ابلغ فزاره اني ان اسالمها حتى يتيك زميل ام دينار »
وام دينار كنية ام زميل . فاقسم زميل « لا يغسل رأسه ولا ياكل
لحماً حتى يقتله . » فضربه ضربة مات منها . فقال الكميت بن معروف :
فلا تكثروا فيها الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعاً
وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولو كان شكاه اليه لحبسه .
كما فعل بضائبي البرجمي :

فانه استعمار كلباً من بعض بني جروول بن نهشل وكان يصيد به
الوحش والطيء والضباع . فطال مكث الكلب عنده فطلبوه فامتنع
من رده . فركبوا يطلبون كلبهم . فقال لامرأته اخلطي لهم في قدرك
من لحوم البقر والطيء والضباع فان عافوا بعضاً واكلوا بعضاً تركوا
كلبك لك . وان هم لم يفرقوا فلا كلب لك . فلما اطعمهم اكلوه ثم اخذوا
كلبهم . فغضب وقال ابياتا رمي فيها امهم بذلك الكلب . منها :
فيا راكبا اما عرضت فبلغن امامة عني والخطوب تدور
فامكم لا تسلموها لكلبكم فان عقوق الوالدات كبير
فشكوه الى عثمان رضي الله عنه فحبسه . اما زميل فان الغضب حمله على
قتل ابن دارة فقتله وقتل به .

ومما ينظم في هذا السلك قصة تابط شراً مع زوج امه ابي كبير
الهذلي : فان تابط شراً مات ابوه وهو صغير لا يعقل فلما ادرك سأل
امه « من هذا الذي اراه عندك ؟ » فاخبرته انه زوجها . فاقسم لا يراه
عندها الا قتلهما . فامرت ابا كبير بقتله . فاحتال ابو كبير لذلك . فلما
لم يقدر عليه تركها .

ومن ذلك قصة ابن الدمينه : فان امرأته رميت بشخص فبدأ بمن
رميت به فقتله . وثني بها وثلث ببنتها منه فقتلها . وقال : « لا تتخذ من
كلب سوء جروا . »

ومن ذلك قصة هدة بن خشرم وابن عمه زيادة . وملخصها انهما خرجا في ركب من قومهما . فكانا يتماقلان السوق . فارتجز زيادة وذكر اخت هدة فقال :

« عوجي علينا واربعي يا فاطما ما بين ان يرى البعير قائما »
 « الاترين الدمع مني ساجما حذار دار منك ان تلاءما »
 « فمرجت مطرداً عراها فعمماً يبذ القطف الرواسما »
 « كان في المشاة منه عائما انك والله لان تبس غما »
 « خوداً كان البوص والمآ كما منها نقاً مخالطاً صرائما »
 « خير من استقبالك السماءما ومن مناد تبتني معاكما »

فغضب هدة حين سمع زيادة يرتجز باخته فنزل فرجز باخت زيادة وكانت تدعى ام خازم فقال :

« لقد اراني والغلام الخازما نزجي المعلى ضمراً سواهما »
 « متى تقول القاص الرواسما والجلة الناجية العياهما »
 « يبلغن ام خازم وخازما اذا هبطن مستحيراً قاتما »
 « ورفع الحادي لها الهماهما الاترين الحزن مني دائماً »
 « حذا ردار منك ان تلاءما والله لا يشفي الفواد الهائما »
 « تمساحك اللبات والمآ كما ولا اللمام دون ان تلازما »

فتشاتما وتسابا طويلاً فجز بينهما القوم حتى امسك كل واحد منهما عن الآخر وبقي كل مضطغنا على الآخر . وكان هدة يرى انه مظلوم لان اخته كانت معه . فقتل زيادة بعد ذلك . فاقيد به وكانت هذه الواقعة في خلافة عثمان .

وهذا يدفع ما ذكره المتعامل من ان العائلات كانت شركاء . وهذان الشخصان وان كانا في صدر الاسلام فامرهما هذا من الاخلاق المالوفة قبل الاسلام ولان قبيلتهما من آخر العرب اسلاما .

حل غريب هذه الابيات : ما بين ان يرى البعير قائماً اي ما بين مناخ
البعير الى قيامه . مطردا اي متتابع السير . عراها اي شديداً . فعمماً اي
ضخماً . الرواسم اي الابل التي تسير سيراً فوق العنق . والرسيم هو
السير فوق العنق . والمثناة الزمام . عائماً اي سابحاً . لان تباغم اي لان
تكلم . والبوص اي العجز . والمآكم ما عن يمين العجز وشماله . والنقا
ما عظم من الرمل . والصرائم دونه . والسماثم جمع سموم وهي الريح
الحارة تكون غالباً بالنهار .

السواهم جمع ساهمة وهي الضامرة . متى تقول : هذا شاهد من
شواهد اعمال القول عمل الظن . والجلة بالكسر كبار الابل . والناجية
السريعة تنجو بمن يركبها . والعياهم جمع عيهم وهي الناقة الحسنة الخلق .
والمستحير هو القفر الذي يحار فيه القوم . والقاتم هو الكثير القتام وهو
الفبار . والحادي الذي يحدو الابل . والهماهم جمع همهمة وهي الصوت .
والتمساح من المسح . واللمام الزيارة غباً . والمعنى لا يشفى الفواد
الهائم كثرة مسحك لبات ام خازم وما كها ولا زيارتها غباً .
وانما يشفيه ان تلازمها من غير فراق .

ومن هذا قصة القتال الكلابي مع ابن عمه زيادة . فانه رآه يكلم
اخته . فاقسم ان رآه مرة اخرى ليقتله . فرآه يوماً آخر فحمل عليه
ليقتله . ففر عنه وجعل يناشده الله والرحم ويقسم له انه لا يكلمها ابداً .
فلم ينته عنه . فمر القتال برمح مركوز فعطف عليه فقتله فندم . وقال :

« نشدت زيادةً والمقامة بيتنا وذكرته ارحام سعد وهيثم »

« فلما رأيت انه غير منته املت له كفى بلدن مقوم »

« ولما رأيت اني قد قتلتها ندمت عليه اي ساعة مندم »

وهذا مشهور عن العرب حتى ان احدهم اذا اراد ان يقرع عدوه
يذكر حرمة . وذلك هو الصدع الذي لا ينجبر .

ومن ذلك قصة الاقيشر واسمه الاسود . والاقيشر لقب كان يغضب منه . فانه صر بناد من بني عبس . فدعاه احدهم بالاقيشر فاجابه وقال « اتدعوني الاقيشر ذلك اسمي وادعوك ابن مظفئة السراج »
« تناجي خلها بالليل سراً ورب الناس يعلم ماتناجي »
فسمى الرجل ابن مظفئة السراج وانسحب ذلك اللقب على بنيه من بعده . ولم يهبرهم باكثر من ان امهم تطفى السراج لتكلم خلها . ففضحهم بهذا . وهذا يدل قطعاً على تحاشي القوم ممارماهم به هذا المتعامل .
ومن ذلك قصة الشماخ بن ضرار الغطفاني . وكان اقبل من مصرفي نهر من قومه ومعه جمعة اخرى وكانوا يتعاقبون على السوق . فعرض الجليح بامرأة الشماخ فقال :

طيف خيال من سليمى هائجي والقوم بين لطف وعالج
بينهما في طرق مناهج تخدي بنا كل خوف فاسج
يا ليتي كلمت غير خارج ام صبي قد حبي اودارج
غرثي الوشاح كزة الدمالج

فغضب الشماخ فنزل وعرض بامرأته . فاخترط القوم سيوفهم وهموا بالمقاتلة . وكان ذلك ليلاً فادعى احد رفقاءهم انه نهش . فاقبلوا يسقونه ويهاجلونه حتى سكن ما بهم .

ومما يوضح ذلك ايضاً قصة الخطيئة . وكان نزل على بني بغض لما تحول عن الزبرقان فسالوه ان يخبرهم بما يحب ليفعلوه وبما يبغض ليجتنبوه فنهاهم ان يغنى احد شبانهم بحيث تسمع بته . وكان الخطيئة هذا مغموز النسب مشهوراً بالدناءة واللؤم في الجاهلية وبقلة الدين لما اسلم وكان لا يقري الضيف ، وربما قراه ومن عليه به . وكان يحرض العرب على الردة ويقول :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا فيالفتنا ما بال دين ابى بكر

ايورثها بكرة اذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
واذا تدبرت ما حكى هذا المتحامل وجدته يخالف سيرة القوم :
فانهم كانوا يعيبون من راوا منه الميل الى السفه . وكان كليب المشهور
يعيب اخاه مهلهلاً ويسميه زير النساء . ولما قتل كليب واخذ اخوه
مهلهل بثاره قال قصيدته التي منها :

« فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب اي زير »
« بيوم الشعثمين لقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور . »

والذنائب موضع . ويوم الشعثمين يوم لمهلهل على بني بكر .
ومن الدليل على انهم كانوا لا يسامحون احداً في فعل القبيح ان
حسان ملك حمير وهو احد الاذواء غلب عليه لقباً « ذو معاشر » لانه كان
يرمى بالفجور .

ومما جرت المنافرة بين علقمة بن علاثة وبين ابن عمه عامر بن
الطفيل قول علقمة له : « انك اعور البصر عاهر الذكر . وانا عفيف . »
وهذا مشهور عن العرب حتى ان الرشيد الخليفة العباسي قال :
« ما احوجنالي اخلاقهم مع ديننا . »

ولقريش من الطهارة والعفاف والافتة ما ليس لغيرهم : يشهد لذلك
قول عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
راودته امرأة ذات جمال عن نفسه :

« اما الحرام فالمات دونه والحل لاحل فاستبينه »
« وكيف بالامر الذي تأتينه يحمي الكريم عرضه ودينه . »

وقالت هند بنت عتبة ، لما تلا عليها النبي صلى الله عليه وسلم
« ولا يسرقن ولا يزنين » (سورة الامتحان - ١٢) ، : ما قبجه حلالاً .
فكيف به حراماً ! »

اما الحجاب فانه كان معروفاً عند العرب . والا سلام زاده
كانت الجارية من قریش اذا بلغت مبلغ النساء يدخلها اهلها
دار الندوة فيكسوها رجل من بني عبدالدار يسمونه محبضاً فتجلبب .
وكذلك من يعتقد به من قبائل العرب . يشهد لذلك قول مضرس بن
ربي الاسدي وهو جاهلي :

« ويوم من الشعرى كان ظباءه كواعب مقصور عليها ستورها »
« نصبت له وجهي وكلفت حميه افانين حرجوج بطبيء فتورها »
ولولا ان الحجاب معلوم عندها اهل الجاهلية لما شبه الظباء الكوانس
بكواعب مقصور عليها ستورها .

ويدل عليه قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي يصف بعض
حروبه في الجاهلية :

لما رايت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم ار من نزال الكبش بدا
يعني ان محاسنها انما بدت لشدة الفزع . ولولا ذلك لم تظهر .

وقال الآخر :

« جزى الله يوم الروع خيرا فانه
وقال قيس بن زهير :

اخي والله خير من اخيكم
قتلت به اخاك بتخير عبس

وقال الآخر :

فلا تعذلي في حندج ان حندجا وليث عفرين لدى سواء
حميت عن العهار اطهار امه وبعض الرجال المدعين جفاء
نجاعت به سبط العظام كانما عمامته بين الرجال لواء

ولسنا نريد بالحجاب في الجاهلية الحجاب الذي اصر به في الاسلام.
لان حجاب اهل الجاهلية كان يبدأ من ادراك الجارية فاذا تهذبت وعلمت
ما يقبح وما يحسن يصير في صورة غير تلك . فمن هناك كانوا يتسامحون
في بعض الحديث اذا نفيت الريبة . يدل على ذلك وصف اهل الجاهلية النساء
بربات الحدور ونحو ذلك . قال امرؤ القيس :

ويوم دخلت الحدر خدر عيزة فقالت لك الولايات انك مر جل
والحدر ستر يمد للجارية في ناحية البيت وعلى الهودج
وله ايضاً

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراساً واهوال معشر على حراس لو يسرون مقتلى
اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
اي رب امرأة لزمتم خدرها تشبه البيضة تمتعت بها غير خائف من
احد . يصف نفسه بالعظمة لانه كان ملكاً . والمرأة تشبه بالبيضة من ثلاثة
اوجه : (١) الصحة والسلامة من الطمث (٢) الصيانة والستر لان الطائر
يصون بيضه ويحضنه (٣) صفاء اللون ونقاؤه .

وقوله لو يسرون مقتلى اي هم حراس على اسرار قتلى . وذلك غير
كائن لباهتي وذكرى ، وهذا دليل على ما قصدنا لانه مع قوته ما يمكنه
الوصول اليها الا بعد نوم الحرس واعترف انهم لو امكنهم قتله لفعلوا .
ومما يوضح ان النساء في الجاهلية كن يحتجن قول سبرة بن عمرو
الفقعسي يهجو بني نهشل وهو جاهلي مشهور :

«اضمر بن ضمرا بلى الاست والقفا وهل مثلنا في مثلها لك غافر»
«اتنسى دفاعي عنك اذا انت مسلم واذا سال من ذل عليك قراقر»
«ونسو تكلم في الروع بادوجوها يخلفن اماء والا ماء حرائر»
«يسلخن بالليل الشوى باذرع كايد السباع والرؤس حواسر»

قوله « ونسو تكلم في الروع ... » معطوف على جملة الحال السابقة قال المرزوقي وصف الحال التي منى بها حين نصره مخاطبه . والمعنى ان نساءكم تشبهن بالاماء مخافة السبي حتى تبرجن وبرزن مكشوفات ناسيات للحياء وان كن حرائر . وانما قال هذا لانهم كانوا يقصدون بسبي من يسبون من النساء الحاق العار واغتنام الفداء والمال . ولما كان الامر على هذا فالخبرة في مثل ذلك الوقت كانت تتشبه بالامة لكي يزهد في سبيها . ومعنى والاماء حرائر ان اللائي يحسبن اماء حرائر ولو قال تمخال اماؤهن حرائر لكان مأخذ الكلام اقرب . لكنه عدل الى والاماء حرائر ليكون الذكر افخم . انتهى . فاذا ذهبن في هذه الحالة بكشف الوجوه فذلك دليل على ان العيب في حال السلم احرى .

ولما بينت ان العرب كانوا يحجبون نساءهم اردت ان اتبع ذلك بصيانتهم لانفسهن وحفظهن لازوا جهن .

فمن ذلك : ان الحنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنوها . اربعة رجال . فقالت لهم : « يا بني ! انتم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله غيره انكم لبنور رجل واحد ، كما انكم بنوا امرأة واحدة . ما خنت اباكم . ولا فضحت خالككم . ولا هجنت حسبكم . ولا غيرت نسبكم . وقد تعلمون ما اعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين . واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية : يقول الله « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورا بطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا اصبحتم غداً فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائكم مستبصرين . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجلت ناراً على ارواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة . »

فلما اضاء لهم الصبح باكروا صراخهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون الارجيز . فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً . فاما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته . » فكان عمر رضى الله عنه يعطيها ارزاق اولادها الاربعة لكل واحد منهم مائة درهم حتى قبض وماتت الحنساء . (فانظر يرحمك الله الى هذه الشهامة والى مثل هذه الهمة العالية من امرأة عربية ! وهل صدر مثل هذه الخطبة ومثل هذا الاستبشار بشهادة الابناء من كبار الساسة وعظماء القادة ؟ . لا والله ! ولو وجد من بين الساسة والقادة مثلهما لصبوا له هيكلا من فوق السماوات .) ومما يصدقها فيما وصفت به نفسها من الصيانة حديثها مع اخيها صخر . وكانت ذهبت اليه تستجديه لما املق زوجها في المقامرة . فقاسمها صخر ماله . واعطاها خير النصفين . فاقبل زوجها يعطي ويهب ويحمل حتى انفده . فاتته فقاسمها ماله واعطاها خير النصفين الى الثالثة . فقالت امرأته اما ترضى ان تقسمها مالك حتى تعطيها خير النصفين فقال : والله لا امنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها ولو هلكت مزقت خمارها واتخذت من شعر صدرها ومن عفافهن قصة فتاة غاب عنها زوجها . فخرجت يوماً لحاجة لها فربها راكب فراودها عن نفسها فحشت التراب في وجهه واخبرت امها وانشأت تقول :

يا امنا ابصرني راكب يسير في مسحنفر لاجب
فقممت احثي التراب في وجهه عمداً واحمي حوزة الغائب
فردت عليها امها :

« الحصن ادنى لو تأييته من خثيك التراب على الراكب »
فان امها عابت عليها مفارقة حصنها وجعلته اولى لها من حثي التراب

في مسجفقر اى فى طريق ماض ممتد مستو . ولا حب اى بين واضح .
واحى حوزة الغائب اى امنع من يريد حق الغائب بسوء . لو تأيسته
اى لو تعمدته .

ومن صياتهن وحفظهن لازواجهن قصة ليلي الاخيائية لما قدمت على
الحجاج ومدحته واستشدها الحجاج من شعرها وشعر توبة بن الحميري
الذى كان يتعشقها حتى انشده ابياتاً لتوبة يذكرها فيها :

« وكنت اذا ما زرت ليلي تبرقت وقد رايتني منها الغداة سفورها »

« وقد رايتني منها صرود رأيتني واعراضها عن حاجتي وبسورها »

فقال الحجاج ياليلي، ما الذي را به من سفورك؟ قالت يا ايها الامير
كان يلعبني كثيراً فارسل الى يوماني آتيك . وفطن الحى فارصدوا
له فلما رايتني سفرت عن وجهي علم ان ذلك لشرف لم يزد على التسليم
والرجوع . فقال الحجاج لله درك ياليلي ! فهل رايت منه شيئاً تكرهينه ؟
فقات لا ! والله الذي اسأله ان يصلحك ، غير انه قال مرة قولاً ظننت
انه قد خضع لبعض الامر فانشأت اقول :

« وذى حاجة قلنا له لا تبع بها فليس اليها ما حيت سبيل »

« لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لا خرى صاحب و خليل . »

وادعاء ان عفاف النساء وطهارتهن وحفظهن لازواجهن فى صدر
الاسلام متأصل فيهن ايام الجاهلية كما فعلت ليلي اقرب الى الذهن
من استنباط سريان عادة المجوس فى القديم بدليل وقوعه فى بعض امم لم
تجاور العرب ولم يبلغهم خبرها .

ومن علو همتهن قصة هند بنت عتبة : فانها قالت لا يبيها انى امرأة
قد ملكت امرى فلا تزوجنى رجلا حتى تعرضه على . قال لها : لك ذاك .

فقال لها ذات يوم انه قد خطبك رجلان من قومك . ولست مسميالك واحداً منهما حتى اصفه لك :

اما الاول ففي الشرف العظيم والحسب الكريم تخالين به هو جاً من غفلته وذلك اسباح من شيمته حسن الصحابة سريع الاجابة ان تابعته تبعك وان ملت كان معك تقضين عليه في ماله وتكتفين برأيك عن مشورته .

واما الاخر ففي الحسب الحسيب والراي الاريب بدرارومته وعز عشيرته يؤدب اهله ولا يؤدبون به ان تبعوه اسهل عليهم وان جانبوه توغر عليهم شديد الغيرة سريع الطيرة صعب حجاب القبه ان حاج فقير منزور وان نوزع فقير مقهور . وقد بينت لك كليهما . فقالت « اما الاول فسيد مضياع الكريمة موات لها فيماعسى ان تلين بعدا بائها وتضيع تحت خباثتها ان جاءته بولدا حقت ، وان انجبت فعن خطأ ما انجبت . اطو ذكر هذا غنى ولا تسمه لى . اما الآخر فبعل الحرة الكريمة انى لا خلاق هذا الوامقة وانى لا خذة بآداب البعل مع لزومى قبتى وقلة تلفتى وان السليل بينى وبينه لحرى ان يكون المدافع عن حريم عشيرته الذائد عن كتيبته المحامى عن حقيقتها المثبت لارومتها غير موأكل ولا زميل عند صعصة الحرب . »

قال : « ذلك ابو سفيان بن حرب » . قالت فزوجه ولا تلقى القاء السلس ولا تسمه سوم الضرس . ثم استخر الله فى السماء يخر لك فى القضاء . فهذا يدل على نظرها فى العواقب حتى اختارت من يؤدبها على من يملكها قياده .

ومن علو همهن قصة خليدة اخت الزبرقان بن بدر مع المخبل السعدى . وهو احد المعمرين عاش كثيراً فى الجاهلية والاسلام وكان خطب خليدة الى الزبرقان . فردده وزوجها رجلاً من بنى جشم بن عوف .

فهجاه المخبل وعبد بن الطيب وعمرو بن الاهتم قبل ان يسلمو او قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ان المخبل صر بعد حين بخليدة وقد
اصابه كسر وهو لا يعرفها . فأوته وجبرت كسره فلما اراد الانصراف
اعطته جارية تخدمه وزودته . فسألها عن اسمها فقالت له ما حاجتك اليه ؟
قال اريد ان امدحك . فقالت له اسمي رهو . فقال ما رأيت امرأة
شريفة تسمى بهذا الاسم . (فان رهوا وصف في النساء غير حميد .)
فقالت له انت سميتي به . فلما عرفها قال :

لقد ضل حلمي في خليدة ضلة ساءت نفسي بعدها واتوب»

« واشهد والمستغفر الله اني كذبت عايتها والهجاء كذوب»

وهذه آية في علو همة نساء الجاهلية واضحة .

ويشهد لذلك ايضاً قصة هزيلة الجديسية المتقدمة وقصة بنت

خرشب التي تقدمت ايضاً .

ولهن من علو الهمة ما يبرهن على ذلك .

فمن ذلك قصة امرأة المخلق ممدوح الاعشى . وملخصها انه كان

فقيراً ذا بنات كثيرة قد غسن . فحسنت له امراته ان يتعرض لمدح

الاعشى لتتزوج بناته . ففخر له ناقة لا يملك سواها وسقاه خمراً

فمدحه الاعشى بقصيدته المشهورة اولها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق .

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندي والمخلق .

فانشدها الاعشى بسوق عكاظ . فتسابق الناس اليهن فتزوجن عن

آخرهن .

ومن علو همهن قصة سعدى ام اوس بن حارثة وملخصها ان بشر

ابن ابي خازم الشاعر المشهور هجا اوساً ونال من امه فاسره بعض العرب

فاشتراه اوس بما تئى بعير وعذبه . فعلمت امه فقالت ما تريد ان تصنع ؟
 فقال اريد ان احرق هذا الذى شتمنا . فقالت قبح الله قوماً يسودونك
 او يقتبسون من رأيك . والله لكانما اخذت به . اما تعلم منزله فى قومه .
 خل سبيله واكرمه . فانه لا يغسل عنك ما صنع غيره . ثم انه اكرمه
 واطلقه . فصار بشر يناقض هجوه بمدحه .

فهما تان القصتان كسائر الشواهد تدلان على علو همة نساء الجاهلية
 وعلى ان نساء الجاهلية لم يكن العوبة فى ايدي رجالها بل كان لهن من الاستقلال
 والشأن ما يرفعهن عن الابدال وعن كونهن مباحات لاطماع الرجال .
 ولم تزل العرب فى الجاهلية تمدح نساءها بالحياء والعفة . فمن ذلك
 قول الشنفرى الازدى :

« اميمة لا يخزى ثاها حليها اذا ذكر النسوان عفت وجلت »
 « اذا هو امسى آب قره عينه مآب السعيد لم يسئل ابن ظالت »
 شاها ما ينث عليها من افعالها يقول اذا ذكرت افعالها لم تسؤ
 حليها لحسن مذهبها وعفتها . آب قره عينه اى رجع الى ما يسره منها .
 لم يسئل ابن ظالت اى هى محجوبة لا تبرح بيتها .

قال الاصمعى هذان البيتان احسن ما قيل فى خسر النساء وعفتهم .

ومن ذلك ابيات ابي قيس بن الاسلم :

« ويكرمها جاراتها فيزرنها وتقتل عن اتيانهن فتعذر »
 « وليس بها ان تستهين بجارة ولكنها من ذاك تحيا وتحصر »
 « وان هى لم تبرز لهن اتينها نواعم بيض مشيهن التأطر »
 وكما تدم العرب بعدم العفاف تمدح بالعفاف . قالت خرق بنت
 هفان (اخت طرفه بن العبد لامه) ترثى قوهها :

« لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر »
 « النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر »

« قوم اذا ركبوا سمعت لهم لفظاً من التأييه والزجر »
 « في غير ما حش يحاء به بمنايح المهرات والمهر »
 « ان يشربوا يهبوا وان يزدوا يتوا عظوا عن منطق الهجر »
 « والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنا منهم بذى الفقر »
 وصفت قومها بدوام الغلبة على الاعداء في قولها « سم العداة »
 وبغاية الجود والكرم في قولها « وآفة الجزر » وبفطر الشجاعة
 والبسالة في قولها « النازلين بكل معترك » وبكمال العفاف والطهارة
 عن الفاحشة والفجور والريبة في قولها « والطيبون معاقد الازر » وبزاهة
 اللسان عن الفحش وقبيح الكلام في قولها « قوم اذا ركبوا سمعت لهم لفظاً
 من التأييه والزجر في غير ما فحش » والتأييه الدعوة والنداء . تعنى انهم
 يجتنبون عبث الكلام ورديته فاذا ركبوا فلا تسمع لهم الا اصواتاً
 في زجر الخيل وندائهم وذلك في غير فحش من السنتهم فلمهم رفيق
 بالحيوانات ايضاً . ثم وصفتهم بالكرم ونزاهة اللسان عن ردى القول
 في قولها « ان يشربوا يهبوا وان يزدوا يتوا عظوا عن منطق الهجر »
 تعنى ان قومها اذا شربوا يجودون ويهبون الاموال وان زادوا
 في الشرب فكان بعضهم يخط البعض عن قبيح الكلام . والنحيث الخامل
 الساقط الذكر . والنضار الخالص النسب العزيز الشهير . تقول ان
 قومها خاطوا خاملهم برفيعهم وفقيرهم بغنيهم فاكتسب كل منهم
 الغنى والحصل الحميدة فليس فيهم خامل ولا فقير .

يكفيها في الرد على هذا المتحامل ما اشتهر عند جميع الامم من انفة
 العرب عن من لا يرويه كفواً . من ذلك قصة النعمان بن المنذر : فان
 كسرى ملكه على العرب . فقيل له ان النعمان عنده بنات واخوات
 في غاية الحسن . فبعث اليه زيد بن عدى بن زيد فقال له ان كسرى قد
 احتاج الى نساء لنفسه ولولده واراد كرامتك بصهره فبعث اليك . فقال

النعمان « اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! » فقال له زيد انما اراد كسرى ان يكرمك . ولو علم ان هذا يشق عليك لم يكتب اليك . ثم ان النعمان بلغه غضب كسرى فحمل سلاحه وصار يستجير بقبائل العرب فلم يجره احد وقالوا لا طاقة لنا بكسرى . فذهب النعمان الى كسرى فالتقاه تحت ارجل الفيلة حتى مات ولم يرض به كفواً مع انه هو سبب رفعته .

ومن ذلك قصة مهامل بن ربيعة : فانه انفرد عن قومه بعد انقضاء حرب البسوس ونزل في بني جنب (حى من مذحج) فخطبوا اليه ابنته . فقال « انى تريد فيكم فمتى زوجتكم قالوا اقتسروه . » - فاجبروه على تزويجها ، وساقوا اليه في صداقها ادماً . فقال :

انكحها فقد اراقم في جنب وكان الحباء من ادم
لو بابا نين جاء يخطبها ضرج ما انتف خاطب بدم
هان على تغلب الذى لقيت اخت بنى المالكين من جشم
ليسوا با كفاءنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم
اسند الانكاح الى فقد الاراقم وهم بطون من تغلب . ولو وجد
منهم احدا لما انكحها في جنب . وقال ان هذا الانكاح مع عدم الكفاءة
وخساسة المهر لم يكن عن رضاه بل هو اكراه على ذلك . يدل عليه قوله لو بابا نين
جاء يخطبها يعنى لو خطبها جنبي في ابانين (وهو على صيغة التشبيه جيلان)
لصرج وجهه بالدم . اى لاهانه غاية الاهانة .

ومن ذلك قصة عدى بن نصر الخمي . وكان جذيمة الابرش ولاء
مجلسه والقيام على رأسه . فعشقتة اخته رقاش فقالت له اذا سقيت القوم
فامنحهم وعرق للملك (اى امنحهم قليلاً كالعرق) فاذا اخذت الخمر
منه فاخطبني اليه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل . ففعل الغلام .
وخطبها فزوجه واشهد عليه وانصرف اليها فعرقها الخبر فقالت عرس

باهلك . فلما أصبح غدا متضمخاً بالخلوق . فقال له جذيمة ماهذه الآثار
يا عدى ؟ قال آثار عرس . قال له جذيمة واى عرس ؟ قال عرس رقاش .
فخبر واكب على الارض . ورفع عدى جسرا مئزه فاسرع جذيمة
في طلبه فلم يجده وقيل بل قتله ، وبعث اليها :

حدثيني وانت لا تكذبينى ابخر زيت ام بهجين
ام بهبد فانت اهل لعبد ام بدون فانت اهل لدون
فاجابته رقاش :

انت زوجتى وما كنت ادرى واتانى النساء للتزين
ذاك من شربك المدامة صرفاً وتماديك فى الصبا والمجون
فنقلها جذيمة اليه وحضنها فى قصره . فاشتملت على حمل وولدت
غلاماً فسمته عمراً فلما بعد خاله . وهو الذى خطفه الجن وهو صاحب
مثل « شب عمرو عن الطوق »

ودخل عقيل بن علفة يوماً على عثمان بن حيان وهو امير المدينة فقال له عثمان
زوجنى بعض بناتك ؟ فقال « ابكرة من ابلى تعنى ؟ » فقال له عثمان
« امجنون انت ؟ » قال عقيل اى شىء قلت لى ؟ قال عثمان قلت لك
زوجنى ابنتك ! قال ان كنت تريد بكرة من ابلى فنعم . فاصربه
فوجئت عنقه . فخرج وهو يقول :

لحى الله دهرأ ذعزع المال كله وسود ابناء الاماء العوارك !
وعقيل هذا وان كان فى صدر الاسلام فاخلاقه لم تزل جاهلية .
وخطب اليه ابراهيم بن هشام القرشى وهو خال هشام بن عبد الملك
ووالى المدينة وكان ابيض شديد البياض فردده عقيل وقال :

رددت صحيفة القرشى لما ابت اعراقه الاحمراراً
وبلغ بالعرب الرغبة عن غير الاكفاء وخوف العار الى تمنى
الموت لبناتهم . قال الهيثم ان الواؤد كان مستعملاً فى قبائل العرب

قاطبة وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل الا في تميم . وقيل كان الواد في تميم وقيس وبكر وهو ازن واسد . وكان من لا يرى الواد يتمنى لا بنته الموت خوفاً من الفضيحة بعده او من الوقوع في يد غير كفء .

ومن ذلك قصة المثنى بن معروف الطائي فانه نزل برجل من فزارة يقال له ابو جبر فسمعه يقول والله اني وددت ان ابيت الليلة خالياً بابنة عبد الملك بن مروان فقال له الطائي احلالاً ام حراماً؟ فقال ما ابالي ؛ فوثب عليه المثنى فضرب رأسه برحالة ثم انتقل وهو يقول :

ابنح امير المؤمنين رسالة على النأي اني قد وترت اباجبر
كسرت على اليا فوخ منه رحالة لنصر امير المؤمنين وما يدري
على غير شيء غير اني سمعته بنى بنساء المسلمين بلا مهر
ومن ذلك قصة عقيل بن علفة النطفاني فانه خطب عنده ابن اخيه ابنته وكان هجيناً وله مال كثير فقال :

لعمري لئن زوجت من اجل ماله هجيناً لقد حبت الى الدراهم
ابى لي ان اعطي الدناءة اني امد عناناً لم تخنه الشكائم
وكان لعقيل هذا جار جهني خطب اليه ابنته فغضب فاخذته وكشفه
ودهن استه بشحم اوزيت فادناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده .

وقال اكثم بن صيفي : يا بني تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب . فان المناكح الكريمة مدرجة الشرف . وقال بكير الاسدي :

واول خبت المرء خبت تراه واول لؤم المرء لؤم المناكح
ومن رغبتهم بيناتهم عن غير الا كفاء قصة يذكر بن عنزة بن اسد بن ربيعة . وهو احد القارظين الذين يضرب بهما المثل فيقال « حتى يؤوب القارظان . » اي حتى يكون ما لا يكون . وملخص القصة : ان

رجلاً اسمه خزيمه بن فهد خطب اليه ابنته فلم يزوجهما . ثم خرجا يطلبان القرظ (وهو ورق تدبغ به الجلود) وصرا بقليب فاستقيا فسقطت الدلو . فنزل يذكر ليخرجها . فلما صار في البئر منعه الحبل وقال زوجني فاطمة . فقال اما على هذه الحالة اقتساراً فلا افعل ولكن اخرجني حتى ازوجك . فادتمج وجعل يسأله فيأبى حتى هلك فيها . فهذا يدل على ان القوم كانوا في غاية اعزاز لبناتهم . لا كما قال المعترض من ابتذالهم لهن . والقارظ الثاني رجل من النمرا بن قاسط . خرج يبغي قرظاً فابعد فنهشته حية فقتلته . فضرب العثل برجرجه فيما لا يكون .

واحتجاجه على قدم الفساد المذكور في العرب بقصة ياقوت الحموي ، وهي مسامرة اهل مرباط ومبادلتهم ، لا يخفى عدم ظهور وجهه لان اهل مرباط ليسوا من العرب في الاصل وانما نزل فيهم بعض متأخري العرب فبا نقراض جيل بعد جيل سرت العادة في ذراريهم من اهل البلد .

واما حكاية ابن بطوطة التي شاهدها عند امير عمان فانها دليل على ان اهل عمان ياقون على اتفة العرب . لان البنت التي ساق حكايتها لو استطاعت ان تبلغ غرضها في بيت ايها ما احتمت بذلك الامير الظالم . يدل على ذلك قوله لا يقدر على قتلها لحماية الامير لها . وفيه دليل على ان الامير غير عربي الاصل لان العربي يغار على غير حرمه . يدل على ذلك قصة السليك بن السليكة فانه مر بامرأة في بيت وحدها فاغتصبها فلما علم بذلك رجل اسمه انس تبعه فقتله وابى ان يعطى ديته فقال في ذلك :

اني وقتلي سليكاً ثم اعقله كالثور يضرب لماعفت البقر
غضبت للمرء اذ نيكته حليلته وا ذيشد على وجهائها الثفر
قوله ثم اعقله بالنصب على تقدير ان المصدرية عطفاً على وقتلي .

ولماعفت البقراي لما كرهت البقر شرب الماء . والمعنى ان البقرا اذا امتنعت من شروعهما في الماء لا تضرب لانها ذات لبن . وانما يضرب

الثور لتفزع هي فتشرب . يقول ان قتل سليك كان بحق فالعقل يكون ظالماً كضرب الثور عند امتناع البقر .

قال المعترض « ان العرب كانوا يستبضعون لبناتهم باقل شيء . » وهذا غير صحيح لان من مشهور كلام العرب « ومن خطب الحسنة لم يغله المهر . » ولم تزل العرب تشتط في المهر وتغالي حتى جاء الاسلام فاصر بالتخفيف . اما اهل الامصار فامشوا . واما اهل البادية الذين لم يتمكنوا من خلع العوائد كلها فلم يفعلوا لان الاصر كان على طريق الندب . يشهد لذلك قصة عروة بن حزام العذري فانه خطب بنت عمه عفراء فاشتط عليه عمه في المهر فقال عروة :

« يكلفني عمي ثمانين ناقة ومالي والرحمن غير ثمان »

وقال عمرو بن ابي علقمة المري :

اني وان حب الى المهر الف وعبدان وذود عشر
احب اصهارى الى القبر

ولما زوج النعمان بن بشير الانصاري يحيى بن ابي حفصه ابنته على عشرين الف درهم قال قائل يعيره :

لعمري لقد جللت نفسك خزية وخالفت فعل الاكثرين الاكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعا بيدرا لما راما صنيع الالائم

وقال ابو اسحاق بن خلف :

لولا اميمة لم اجزع من العدم ولم اجب في الفيا في حندس الظلم
تهوى حياتي واهوى موتهاشغفاً والموت اكرم نزال على الحرم .
وقال ابن المعتز :

وبكر قلت موتى قبل بل وان اثرى وعد من الصميم
امزج بالشام دمي ولحمي فاعذري الى النسب الكريم
وموتى اصر مؤنث من الموت

ومن ذلك قصة ابن ملجم قاتل علي بن ابي طالب: فانه خطب امرأة من الخوارج فقالت لا اقنع منك الا بصداقي اسميه لك: وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامه وان تقتل عليا. فقال لها « لك ما سألت » وقال في ذلك:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر اعلى من علي وان علا ولا فتك الادون فتك ابن ملجم
وقال جرير يعير الفرزدق بمهر اخته جعثن ويفخر عليه بكثرة
مهر نساء قومه:

هلا طلبت بعقر جعثن منقراً ومجرها وتركت ذكر الابلق
سبعون والوصفاء مهر بناتنا اذ مهر جعثن مثل حزر البندق
المقردية بضع المرأة اذا غضبت على نفسها. وجعثن بكسر الجيم
والشاء اسم اخت الفرزدق. ومنقر بكسر الميم وفتح القاف اراد به
اولاد الاشد المنقرى. وكان عمران بن مرة المنقرى اسر جعثن يوم
السيدان. ومجرها اي جرهم اياها. وقد اعترف جرير بانه اقترى
عليها في قذفه هذا. والابلق زوج بنت جرير. والحزر التقدير. والبندق
الذي يرمى به. كنى بذلك عن القبيح.

وقال رجل في امرأة زوجت من غير كفوء:
لقد فرح الواشون ان نال ثعلب شبيهة ظي مقتلها وجيدها
اضر بها فقد الولي فاصبحت بكف لثيم الوالدين يقودها.
وتفاخر العرب في الجاهلية بانسابهم معلوم. ولا يرضى كريم
الطرفين منهم بموازاته بمن ليس كذلك.

حكى ان قتيبة بن مسلم الباهلي مازح اعرايياً فقال ايسرك ان
تكون باهلياً؟ فقال لا والله! قال فتكون باهلياً خليفة؟ قال لا والله،
ولو ان لي ما طلعت عليه الشمس. قال ايسرك ان تكون باهلياً وتكون
في الجنة؟ فاطرق ثم قال بشرط ان لا يعلم اهل الجنة اني باهلي.

وقال اعرابي :

سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن ابلاؤه
فما سال الله عبد له فغاب ولو كان من باهله .

وحجج ابو جزء ومعه قوم من خاصته فجلسوا في المسجد الحرام الى قوم من بني الحارث بن كعب . فرأى بنو سعد اعظام قوم ابي جزء اياه فقال قائل منهم امن بيت الخليفة انت ؟ قال لا ولكن رجل من العرب . قال ممن الرجل ؟ قال رجل من مضر . قال اعرض ثوب الملبس ! من اياها عافاك الله ؟ قال رجل من قيس . قال اين يراد بك . صرالى فصيلتك التي تؤويك ! قال رجل من بني سعد بن قيس . قال اللهم غفراً ! من اياها عافاك الله ؟ قال رجل من بني يعصر . قال من اياها ؟ قال رجل من باهلة . قال قم عنا ! فاقبل بعض اصحابه الى الحارثي فقال اتعرف هذا ؟ قال ذكرا نه باهلي . فقال هذا امير ابن امير حتى عدد خمسة وسماهم كلهم . فقال الحارث الامير اعظم ام الخليفة ؟ فقال بل الخليفة . قال افالخليفة اعظم ام النبي ؟ قال بل النبي . قال « والله لو عددت له في النبوة اضعاف ساعدت له في الامارة ثم كان باهلياً ما كان الله ليعبأ به شيئاً ! » فكادت نفس ابي جزء تخرج . فقال صاحبه انهض بنا فان هولاء اسوأ الناس آداباً .

وكانوا اذا شرف احدهم بنفسه سموه عصامياً واذا شرف بآبائه سموه عظامياً . وفي المثل « كن عصامياً ولا تكن عظامياً » اي افتخر بنفسك لا بعظام آبائك البالية . وعصام هذا هو عصام بن شهر الباهلي حاجب النعمان . ومن شعره :

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكبر والاقداما
وجملته ملكاً هماماً .

ويقال له عصام الخارجي . وانما سمته العرب خارجياً لانه خرج
من غير اولى كانت له .

ويحكى ان الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل فاراد اختباره فقال
اعصامي ام عظامي ؟ اراد « اشرفت بنفسك ام بابائك الذين صاروا
عظاماً باليه ؟ » فقال الرجل انا عصامي وعظامي . فقال الحجاج هذا
افضل الناس . فقضى حوائجه ومكث عنده ثم فتشه فوجده اجهل
الناس . فقال لتصدقني اولا قتلنك . كيف اجبتني بما اجبتني حين سألتك
عما سألتك ؟ قال لم اعلم اعصامي خير ام عظامي فخشيت ان اقول احدهم
فقلت كليهما . فان ضربي احدهما نفعتي الآخر فقال الحجاج عند ذلك
« المقادير تصير الهى خطيباً . »

واولاد الجوارى انقص عندهم من اولاد الحرائر . قال الشاعر

ان اولاد السراى كثرت يارب فينا
رب ادخلني بلاداً لا ارى فيها هجيناً

وكتب محمد بن عبد الله بن حسن الى المنصور الخليفة العباسي في مكتوب
بعث به اليه واعلم اني لست من اولاد الطلقاء ولا اولاد اللعناء ولا
اعرقت في الاماء ولا حضنتني امهات الاولاد .

ومع ما هم مشهورون به من الفخر بالانساب كان الرجل لا يشرف
عندهم ولا يكمل الا اذا ضم الى نسبه شرف نفسه .

قال عامر بن الطفيل :

واني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته ابي الله ان اسمو بام ولا ب

وقال الآخر في مثل هذا :

وما ينفع الاصل من هاشم اذا كانت النفس من باهلة

وقال الآخر يهجو شقيقه :

ابوك ابي وانت اخي ولكن تقاضت الطبائع والظروف

وامك حين تنسب ام صدق ولكن ابنها طبع سخي

وقد اجاد المتنبى

وآف من اخي لابي وامى اذا ما لم اجده من الكرام

ارى الاجداد تغلبها جميعا على الاولاد اخلاق اللثام

ولست بقانع من كل فضل بان اعزى الى جددهم

وقال عنترة بن شداد العبسى ، وكان بنو عبس انهزموا فثبت وقاتل
دون النساء فرد العدو وقال قيس بن زهير ما حمى النساء الا ابن السوداء

انى امرؤ من خير عبس منصبا شطرى واحمى سائرى بالمنصل

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت الفيت خيرا من معهم مخول

فاقر على نفسه بانه ناقص النصف وجعل شجاعته تحمى نصفه الباقي .

ومن افتخارهم بالآباء دون الامهات قول عبدالله بن عبدالمطلب

والد النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد علم السارون في كل بلدة بان لنا فضلا على سادة الارض

وان ابي ذوالمجد والسود الذي يشار له ما بين نشر الى خفض

وجدى وآباء له اثلوا العلى قديما بطيب العرق والنسب المحض

فانه رضى الله عنه مع شرف اخواله لم يذكرهم .

ومن ذلك قول القائل :

اذا مات منهم ميت سرق ابنه ومن عضة ما يبتن شكرها

يريد ان الابن منهم يشبه اياه . فمن راي هذا ظنه هذا فكان

الابن مسروق . ولم يقل انه يشبه خاله او ابا امه .

ومن كلامهم من يمن الولد ان يشبه اياه .

وربما افتخروا بالامهات لاجل معنى خفى . من ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري صاحب المعلقة :

« نحن بنو ام البنين الاربعة ونحن خير عاصر بن صمصمه »
 « المطعمون الجفنة المدعده والضاربون الهام تحت الخيضة »
 « مهلايت اللهن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه »
 والنكتة في انتساب لبيد الى ام البنين واسمها ليلى التنبيه على انهم اشقاء .

وبنو ام البنين خمسة لا اربعة . وهم : (١) عاصر بن مالك ملاعب الاسنة (٢) وطفيل بن مالك فارس قرزل . وهو ابو عاصر المشهور وقرزل فرسه ، (٣) وربيعة بن مالك وهو ابو لبيد . وهو ربيع المقترين ، (٤) ومعاوية بن مالك معود الحكماء . (٥) وعبيدة الوضحاح .
 وانما قال الاربعة لان اباه وهو احد الخمسة كان قد مات قبل ذلك .
 وقيل انما قال ذلك لاجل القوافي . فيقال لا يجوز لشاعر ان يلحن للقوافي فكيف ان يكذب .

حل غريب الابيات : الجفنة القصعة الكبيرة ومنه قوله تعالى « وجفان كالجوابي » وهي مخصوصة باوعية الطعام . والمدعدة المملوءة . والخيضة ، بخاء وضاد منقوطين بينهما ياء ساكنة زائدة ، اصوات وقع السيوف ، والبيضة على الرأس ، والغبار .

زعم المتعامل المذكور ان النساء في الجاهلية اعز من الرجال . ويرد ذلك ما تقدم . ولو كن اعز من الرجال لم تكن الضرائر موجودة في الجاهلية مع ان بعض اشراف العرب كانوا يجمعون تسعاً وعشراً . والبغض بين الضرائر معروف قديماً وحديثاً . قالت بنت مرة بن عاهان بن الحصين لما قتلته باهلة :

انا وباهلة بن اعصر يمتنا داء الضرائر بغضة وتقاف
 من تتقن منهم فليس بأثب ابداً وقتل بني قتيبة شاف
 ذهبت قتيبة في اللقاء بفارس لاطائش رعش ولا وقاف

باهلة قبيلة سموا بامهم . وهم تسعة ابوهم مالك بن اعصر . وليست
باهلة اماخير اثنين منهم . وانما حضنت الجميع فضايت عليهم . والضرائر
جمع ضرة ، وهذا الجمع نادر لا يكاد يوجد له نظير الا مثل حرائر
في جمع حرة وكنائن في كنة . وداء الضرائر هو التباغض والتضارب .
وهو معروف . فيكون قولها بغضة وتقاف تفسيراً للداء . والتقافى تفاعل من
قفيته اقفيه قفيا اذا ضرب قفاه . وروى نقاف بكسر النون في اوله . وهو
مصدر ناقفه والمناقفة المضاربة بالسيوف على الرأس وعلى هذا يكون
بغضة بالجر بدلاً من الضرائر . من تثقن صيغة المتكلم مع الغير . يقال
ثقت الرجل في الحرب ادر كته . تقول من نظره من بهالة نقتله
ولا ندعه يرجع الى اهله .

قال حنادة الطهوي .

لقد خشيت ان يقوم قابرى ولم تمارسك من الضرائر
ذات شدة جملة الصراصر حتى اذا جرس كل طائر
قامت تعنظى بك سمع الحاضر تصر اصرار العقاب الكاسر
يعنى بذلك امراته يقول لقد خشيت ان ادفن ولم اتزوج امرأة
تكون لك ضرة . والشدة الحدة والخصومة . والصراصر جمع صرصرة
وهي الصوت الدقيق . يريد كثرة كلامها وشدة خصومتها . واراد بقوله
حتى اذا جرس كل طائر ابتداء النهار وانتشار الضوء . وفي ذلك الوقت
تسرح الطير لطلب ارزاقها . يريد انها تباكرها بالسباب . والحاضر جماعة
الناس . تعنظى بك اى تسمعها وتذكرها بالحقى ليسمع الحى .

وقال حميد بن ثور :

واقسم لولا ان حدياً تتايحت على ولم ابرح بدين مطردا
لزاحمت مكسالا كان ثيابها تجن غزالا بالحميلة اغيدا
اذا انت باكرت المنيمة باكرت مداكها من زعفران واثمدا

يخاطب زوجته يقول فاقسم لولا ان حدياً (وهي السنون المجذبة
واحدة منها حدياء) تتابعتم وتوالت على ولولا انه استدان وطالبه الغرماء
وطردوه لراحمت مكسلاً اي لتزوجت عليك امرأة ثقيلة الازداف
الناعمة الجسم تكون احسن منك . كان ثيابها تجن اي تسترغز الا يريدان
بدنها حسن . والحمية قطعة من الرمل فيها شجر . والاغيد المتشئ .
ثم قال اذا انت باكرت المنبئة اي دباغ الجلود باكرت هي الطيب
والاكتحال . والمداك الحجر الذي يسحق عليه الطيب . ولو علم حميد شيئاً
اغىظ لها من الضرة لهددها به .

واذا ثبت وجود الضرائر وكثرتها في عرب الجاهلية ثبت ان
النساء لم يكن اعز من الرجال ولا كن يحكمن عليهم .
اما قوله ان الجيران كانوا يشتركون في نساءهم فهذا مردود عليه
فان العرب كانت تتذمم بما هو اقل من هذا . يدل على ذلك قول قيس
بن الخطيم وهو جاهلي :

ومثلك قد اصببت ليست بكنة ولا جارة افضت الى حياءها
وقول مسافر بن ابي عمر والقرشي ، وكان سافر الى النعمان ليعينه بمال
يتزوج به هند بنت عتبة فبلغه ان اباسفيان وهو ابن عمه تزوجها بعده فقال :
الا ان هنداً اصبحت منك محرماً واصبحت من ادنى حموتها حماً
فانه رآها صارت محرماً له ولو كان الامر كما ذكره المتحامل لفرح .
وقال عنتره العبسي :

اغشى فتاة الحى عند حليها واذا غزا في الجيش لا اغشاها
واغض طرفي ما بدت لي جارتى حتى يوارى جارتى مأواها
فانه كان يزور فتاة الحى عند حليها حيث لا تمكن التهمة . واذا غاب
زوج الفتاة وامكنت التهمة ترك الزيارة . وكان يغض النظر عن جارتها
لان النظر الى الجارة عندهم ليس من رعاية حقها .

وقول اعشى باهالة يرثي المنتشر بن وهب :
لا يهتك الستر عن انثى يطالها ولا يشد الى جارتها النظر
وهذا منتهى الزلزال اهتضام الجبار عند العرب دليل على ذل المجير .
ولم تنزل نساء العرب تائف من ذلك . ومنه قصة امرأة مرت على
سفهاء من بني نمير في صدر الاسلام . فنظروا اليها وقالوا كلمة تخل
بالادب فقالت يا بني نمير ما امثلتم قول الله تعالى « قل للمؤمنين
يفضوا من ابصارهم . » (سورة النور - ٣٠) ولا امثلتم قول جرير :
« ففض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً »
وقالت الخنساء في وصف اخيها صخر :
لم تره جارة يمشى بساحتها لربية حين يخلى بيته الجار
وقالت ايضاً .

ولا يقوم الى ابن العم يشتمه ولا يدب الى الجارات تخويدها
ومما رمى به صاحب الكتاب المذكور العرب ان نساء هم كن
مشتركا فيهن وانهن كن المعتمد .
وهذا غلط منه او مغالطة اذ لا تجد عربياً يمدح آخر الا شبهه بآبائه
دون امهاته . وكانوا اكثر ما يذكرون الامهات عند الهجاء لان
الطعن فيهن يفض الشخص اكثر من الطعن في ابيه . واكثر ما يفتخرون
به الآباء والاجداد . نعم كان الاكل عندهم كرم الابوين وكانوا يسمون
الموصوف به طرفاً (بكسر الطاء) فان كان ابوه شريفاً وامه ليست
كذلك سموه هجيناً وان كان بالعكس سموه مقرفاً (اسم فاعل من
باب الافعال) وسموه ايضاً مذرعاً .
قال الشاعر :

اذا باهلي تحته حنظلية له ولد منهما فذاك المذرع
باهلة قبيلة من قيس عيلان . اكتسبت الدناءة بافعالها لا من جهة
النسب . وبنو حنظلة اكرم قبيلة في تميم . والمذرع (بالذال والعين

المهمة . اسم مفعول من باب التفعيل .) هو الذي امه اشرف من ابيه .
قال ابن هشام سمي مذرعاً للرفعتين في ذراع البغل وانما صارتا فيه
من قبل الحمار .

وكان الهجين عند العرب دون الصريح الا اذا برع في الكرم
والشجاعة فانه يوازيه . قال خفاف بن ندبة :

كلانا يسوده قومه على ذلك النسب المظالم
يعنى انه هو والعباس بن مرداس سودهما قومهما مع انهما ابنا جارييتين .
قال المعترض « ان العرب اخس من الكلاب . » ومعلوم ان
الحساسة الدناءة . ولنا ان نقول ان العرب اشرف الامم بالاجماع لان
خصال الحمد مجتمعة فيهم :

افضل المحامد عنزة النفس . وللعرب فيها ما ليس لغيرهم . يشهد
لذلك ما ثور اخبارهم . انظر الى قصة حذيفة بن بدر واخيه يوم الهبأة
(يوم من ايام الجاهلية) وكانا اغارا على بنى عبس فاستنقعا في الغدير
فلم ينجباهما غير قيس بن زهير عدوهم الالاء . فقال احدهما قولاً يعلم منه
الخضوع فضربه الآخر وقال دع عنك ما ثور القول اى اجتنب قولاً
يؤثر عنك ويكون عاداً وعيباً على عقبك .

ومنها قصة قيس بن زهير . فانه بعد انقضاء حرب داحس والغبراء
خرج هو وصاحب له من بنى اسد عليهما المسوح يسبحان في الارض
ويتقوتان مما تنبت ، الى ان دفعا في ليلة باردة الى اخية لقوم وقد اشتد
بهما الجوع ، فوجدا رائحة شواء فسهيا يريدانه فلما قاربا ادركت
قيسا شهامة النفس والائفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد
فانلى لبشاً على هذه الاجارع اترقب داهية القرون الماضية (يعنى
الهلاك) . فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة باسفل
واد فنال من ورقها شيئاً ثم مات .

ومن ذلك قصة الحارث بن ظالم فانه وفد على الملك فوجد عنده خالد بن جعفر بن كلاب فعيره خالد في مجلس الملك بما فعل بقومه وكان خالد وحارث يأكلان التمر فجعل التمر يتساقط من يد حارث بمحض الملك . ثم ان حارثاً فتك به في جوار الملك فاغار الملك على جارات للحارث فاغتال الحارث ابنه واستنقذ جاراته مع ما لهن .

ومن افضلها الكرم . وللعرب فيه ما ليس لغيرهم . هم اقرب الناس للضيف . يقر بذلك لهم كل من يعرفهم . كانوا يوقدون النار للضيف ليهتدى بها . على اليفاع (بالفتح وهو الموضع العالي) لتكون اشهر . وربما اوقدوها بالمندى الرطب (وهو عطر ينسب الى مندل . بلد من بلاد الهند) ونحوه مما يتبخر به ليهتدى اليها العميان . وقريش اصل ذلك . فال من اوقد النار بالمزدلفة ، حتى يراها من دفع من عرفة ، قصي بن كلاب . وسمى هاشم هاشماً لانه كان يهشم الثريد للحاج . وكان عبدالله بن جعدان القرشي التيمي ينصب موائده بالاطح ياكل منها الناس . وفيه يقول امية بن ابى الصلت :

له داع بمكة مشعل فوق دارته ينادي
الى رده من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد
مشعل صر تفع . وردح جمع رداح جفنة عظيمة . والشيزى خشب اسود تتخذ منه الجفان .

ومن قریش ايضاً ازواد الركب . وهم مسافر بن ابى عمرو بن امية ، وزمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد العزى والمغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم . وانما قيل لهم ازواد الركب لانهم كانوا اذا سافروا لم يتزود معهم احد .

وكان حاتم اذا اشتد البرد وكلب الشتاء امر غلامه فاوقد ناراً في يفاع من الارض لينظر اليها من اضل الطريق ليلاً ليهتدى اليها . وكان يقول عند ذلك :

او قد فان الليل ليل قر والريح يامو قد ربيع صسر
 عل يرى نارك من يمر ان جلبت ضيفاً فانت حسر
 وكان ذوالاعواد وهو جد اكشم بن صيفي من بني اسيد بن عمرو
 ابن تميم معمرأ . وكان من اعز اهل زمانه . فاتخذت له قبة على سرير فلم
 يكن خائف يأتيها الا امن ، ولا ذليل الاعز ، ولا جائع الاشبع ؛ واياه
 يعني الاسود بن يهضر بقوله :
 ولقد علمت سوى الذي نبأتني ان السبيل سبيل ذي الاعواد .
 ومن ذلك قصة كعب بن مامة الايادي . فانه آثر رفيقه بنصيب
 من الماء ومات هو عطشاً .

ومن ذلك رجل من طيئي حدث عنه رجل من الاعراب . قال نزلت
 برجل من طيئي فتعزلى ناقة فاكلت منها فلما كان الغد نحر اخرى . فقلت
 ان عندك من اللحم ما يغني ويكفي . فقال اني والله لا اطعم ضيفي الا لحماً
 عبيطاً . قال وفعل ذلك في اليوم الثالث . وفي كل ذلك آكل شيئاً وياً كل
 الطائي اكل جماعة . ثم نوتى بالبن فاشرب شيئاً ويشرب عامة الوطى .
 فلما كان اليوم الثالث ارتقت غفلته فاضطجع فلما امتلا نوماً استقت
 قطعاً من ابله فاقبلته الفج . فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف لي
 في مضيق منه فلقم وتره فوق سهمه ثم نادى بي « انتطب نفسك عنها ! »
 قلت ادنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فاني واضع سهمي في مغرز
 ذنبه . فرماه فانذر ذنبه . فقلت زدني . فقال انظر الى اعلى فقارده .
 فرماه فاثبت سهمه في الموضع . ثم قال : « الثالثة والله في كبذك ! »
 فقلت شأنك بابلك . فقال « كلا ، حتى تسوقها الى حيث كانت . »
 قال فلما انتهيت بها قال « فكرت فيك فلم اجدلى عندك ترة تطالني بها .
 وما احسب الذي حملك على اخذ ابلي الا الحاجة . » قال قلت هو والله
 ذاك . قال « فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها . » فقلت اذاً والله
 لا افعل حتى تسمع مدحك : « والله ما رأيت رجلاً اكرم ضيفاً ،

ولا اهدى سبيلاً ، ولا ارمى كفاً ولا اوسم صدراً ولا ارغب جوفاً
ولا اكرم عفواً منك . » قال فاستجيا فصرف وجهه عني ثم قال انصرف
بالقطيع مباركاً لك فيه .

وهذا باب انفردت به العرب . حتى ان من اشتهرت عندهم باللؤم
لا يقاربه فيه كريم غيرهم . فمن ذلك ان امرأة سر بها رجل فقال « هل
من رسل يباع ؟ » فقالت له « انك للثيم او من قوم لثام ! وهل يبيع
الرسد ككريم ؟ ! »

وكان احيحة بن الجلاح مشهوراً عند العرب باللؤم . ولما صرتبع
الحميري ، وهو ابو كرب آخر التباينة ملوك حمير ، بالمدينة خلف
ابنه بها ومضى حتى قدم العراق فقتل ابنه بالمدينة غيلة فحاصراحيحة
في اطمه واسمه الضحيان ثلاثة ايام فكان يقاتلهم في النهار يرميهم بالنبل
والحجارة ويرمي اليهم في الليل بالتمر . فقال لتبع اصحابه بعثنا الى رجل
يقاتلنا بالنهار ويضيفنا في الليل

ومن اخس العرب باهلة . ومنهم المنتشر المشهور وكان ينحرو
الكوم للاضياف . وفيه يقول الاعشى :

لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشر في اذا ما اجلوذ السفر
وتفرع الشول منه حين تبصره حتى تقطع في اعناقها الجور
والجرة ما يخرج البعير من بطنه لي مضغه ثم يبلعه . وانقطاع الجور
اذا رات السيف يكون فزعا من العقر .

ومن الخصال الحميدة العفو عند القدرة . وللعرب في ذلك ما ليس
لغيرهم . فمن ذلك قصة دريد بن الصمة مع ربيعة بن مكدم . فان الاول
خرج في كتيبة فراى الثماني يقود بطعينة فبعث اليه احداً صاحبه وقال له
اقتله واأنتى بالطعينة . فقتله ربيعة فبعث آخر فقتله حتى قتل الثالث
فخرج اليه بنفسه . فوجده قد انكسر رجمه وبنى اعزل فقال له ايها

الفارس ان مثلك لا يقتل واني لا اري معاك رحماً. فخذ رحى واني مشط
عنك القوم. فقال لهم قتل اصحابكم وانتزع رحى فلامطمع لكم فيه وقال:
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظئينة فارساً لم يقتل
يا ليت شعري من ابوه وامه يا صاح من يك مثله لا يجهل
ومنها الوفاء بالعهد. ولم يتصف بذلك غير العرب في القديم.
حتى انهم كانوا اذا غدر منهم احد رفعوا له لواء بسوق عكاظ
ليعرفوه الناس فيفتضح. وفي ذلك يقول الحادرة:

أُسمي ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في مجمع
ومن ذلك قصة الحارث بن عباد: فانه اعتزل حرب البسوس
وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل. وبعث ابنه بجيراً الى مهلهل يخبره بذلك
فقتله فقال الحارث لما بلغه الخبر نعم القتل قتيل اصيلح بين ابني وائل.
ف قيل له ان مهلهلاً لما قتله قال له « بوء بشمع نعل كليب! » (يقال ابأت
فلانا بفلان فباء به اذا قتله به. وهذا لا يكاد يستعمل الا والثاني كفوا
للاول فكان مهلهلاً جعل بجيراً كفواً لشمع نعل كليب.) فانضم
الحارث الى قومه. فلما كان يوم قضية (ويسمى يوم التحلاق. يوم لبني
بكر على بني تغلب) اسر مهلهلاً واسمه عدى وهو لا يعرفه فقال له داني
على عدى واخلى عنك فقال مهلهل عليك العهد بذلك ان دللتك عليه؟ قال
نعم. قال انا عدى. فجز الحارث ناصيته وتركه. وقال فيه:

لهف نفسي على عدى ولم اء رف عدياً اذ امكنتي اليدان.
ومنها حفظ الجار. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم. فمن ذلك قصة
رجل من بني ابي بكر بن كلاب: فان عمير بن سلمى اجاره وكان للكلابي
اخ جميل. فقال له القرين اخو عمير « لا تردن باخيك هذا ابياتنا! »
فراه بعد بين ابياتهم فقتله وقيل وجده يتحدث مع امرأته. وكان عمير
غائباً فاتي الكلابي قبر سلمى ابي عمير وقرين فاستجار به وقال:

واذا استجرت من اليمامة فاستجر زيد بن يربوع وآل مجمع
 واثيت سلمياً فعدت بقبره واخو الزمانة عائد بالامنع
 اقربين انك لو رأيت فوارسى بعمايتين الى جوانب ضلفم
 حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع
 فلجأ قرين الى قتادة بن مسleme الحنفي . فحمل قتادة للكلابي ديات
 مضاعفة . فابى . وقد لجأ قرين الى خاله السمين بن عبدالله فلم يمنع عميراً
 منه فاخذ عمير ومضى به حتى قطع الوادى فربطه الى نخلة وقال للكلابي
 اما اذا ابيت الا قتله فامهل حتى اقطع الوادى وارتحل عن جوارى فلا
 خير لك فيه . فقتله الكلابي ففى ذلك يقول عمير :
 قتلنا اخانا للوفاء بجارنا وكان ابونا قد تجير مقابره
 ومن ذلك قصة حساس فانه قتل كليياً الذى يضرب المثل بعزه
 بسبب قتله لناقة جارتة .

ومن وفاتهم قصة حاجب بن زرارة : فان العرب اجدبوا بسبب
 قول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اشدد وطأتك على مضر . وابعث
 عليهم سنين كسنى يوسف . » توالى عليهم الجدوبة سبع سنين . فقدم
 حاجب على كسرى وشكا اليه ما حل بقومه وطلب منه ان ياذن له فيكونوا
 فى حد بلاده . فقال كسرى « انتم معشر العرب غدر فاذا اذنت لهم
 عاشوا فى الرعية واغاروا . » قال حاجب انى ضامن للملك ان لا يفعلوا .
 قال « فن لى بان تفى انت ! » قال « ارهنك قوسى » فلما جاء بها
 ضحك من حوله فقال الملك ما كان ليسلمها . اقبضوها منه ثم انه مات
 فوفى ابنه بضمنان ابيه .

ومن ذلك قصة سيار بن عمرو الفزارى : فانه احتمل للاسود بن
 المنذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم الف ببيروهي دية الملوك .

ورهنه بها قوسه فقام منها بثمانمائة . ثم مات . فرهن سياراخو الحارث ابن ظالم لأمه قوسه بالمائتين الباقيتين فوفى بهما .

ومن ذلك قصة ابي دواد الايادي : فانه جاور الحارث بن همام الشيباني فخرج صبيان الحى يلعبون في غدير فغمسوا ابن ابي دواد فقتلوه . فقال الحارث بن همام لا يبقى في الحى صبي الا غرق في الغدير فودى ابن ابي دواد تسع ديات او عشرأ وحلف ان لا يذهب له شى الا اخلفه له . وبه يضرب المثل في حفظ الجار . وهو الذي شبه قيس بن زهير ممدوحه به في قوله :

اطوف ما اطوف ثم آوى الى جار كجار ابي دواد .
قال المتحامل ان الفقهاء اجمعوا على ان من تزوج وهو ينوى الطلاق فنكاحه صحيح . قال ولا فرق بين هذا وبين الزنا . وهذا من افسد الاعتراضات وادلها على قصر باع الرجل وقلة بضاعته فان قول اهل الفقه « من تزوج وهو ينوى الطلاق فنكاحه صحيح . » معناه ان عقد النكاح الموضوع في الشرع على التأيد ينعد انعقاداً مؤبداً . ونية التوقيت بمدة او بطلاق لغو لا يعتبر . قال اهل الفقه النية المؤكدة لمعنى اللفظ والنية المفسرة له معتبرة . واختلفوا في النية المخصصة فقال البعض انها معتبرة فيخص بها العموم وقال البعض لا تعتبر فلا سبيل الى تخصيص العموم بها . وجه الخلاف ان التخصيص هل هو بيان ؟ او هو تغيير ؟ واتفق اهل الفقه كافة قاطبة على ان النية المغيرة لمعنى اللفظ لا تعتبر البته . فاذا كانت النية المغيرة لمعنى اللفظ غير معتبرة بالاتفاق فكيف يمكن اعتبار النية المغيرة لحكم الشارع . فان الشارع انما شرع النكاح لمصالح اجتماعية لا لتنظيم ولا لتستقيم الاعلى تقدير تأييد العقد . فان عقده عاقد ونوى توقيته بمدة او تحديده بطلاق فان نيته مردودة عليه رغما لا نقه لان العبد في تصرفاته على خلاف حكم الشارع او على خلاف المصالح مجبور عليه . وليس الحجر في ذلك من باب تحديد حرية الانسان

ولا من قبيل تحجير الواسع بل من باب رحمة الشارع للإنسان لطفاً له وشفقةً منه إليه من أن يقع فيما يهود بضرر عليه .

ثم لا التباس ولا اشتباه بين تزوج من ينوي الطلاق وبين الزنا لأن الطلاق مشروع . والعلة وهي اختلاط النسب منتفية : فانه ان بدا للذي قد كان نوى الطلاق عدم ارتكابه فالامر ظاهر ، وان طلق فان الشرع الزم المرأة العدة وبأنقضائها على الوجه المشروع يرتفع المحذور . ونكاح المتعة أيضاً فيما سلف قد كان مبنياً على العدة . فترى ان الاسلام حمى حماه بحدود تمنع ان يقع فيه معتد ويمتنع بها ما يرمى اليه هذا المعترض .

ثم ان مثل هذه المسائل الفقهية مسائل علمية دقيقة لا نعيب هذا المتحامل ان جهلها او غابت عنه وله تحامل اشنع من هذا يدل على ان الرجل خليع العذار نزر الحياء سيئ الادب حيث يسمى الشهداء بالتعساء ويظهر منه ان الرجل لم يكن له غرض الا ان يطعن في الدين . لكن الشهداء راوا ما لم يره هو وعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه هو . ولو اردنا ان نعترض عليه كما اعترض هو علينا لا يمكننا . لكن نحن لا نريد ان نسيئ الوفاً لاذنب لهم فيما فعل . ولنا اسوة فيما قال الله تعالى في سورة آل عمران (١٨٦)

« لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركو اذى كثيراً . وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور . »
اما اذى المشركين فقد انقطع . واما اذى الذين اوتوا الكتاب فلا يزال يتدرج الى ما شاء الله .

قال المعترض : « ان العرب يستحيل معرفة الشخص منهم لا ييه وان الانساب المعلومة عندهم وضعها ابن الكابي . »

وهذا محض افتراء على العرب لان الانساب محفوظة عن من هو اقدم من ابن الكلبي واصدق منه . ثم ان ابن الكلبي وان كان طعن عليه في بعض ما نقل فان ذلك لم يتطرق الى كنهه .

والانساب محفوظة عند العرب يشهد له شواهد : فمن ذلك حديث ابي زرارة : قال خرج يزيد بن شيبان بن علقمة حاجاً فرأى حين شارب البلد شيخاً يحفه ركب على ابل عتاق برحال ميس ملبسة ادماء قال يزيد فسلمت عليهم وبدأت به وقلت من الرجل ومن القوم ؟ فارم القوم ينظرون الى الشيخ هيبة له . فقال الشيخ « رجل من مهرة بن حيدان ابن عمرو بن الحاف بن قضاة . » فقلت حياكم الله وانصرفت فقال الشيخ « قف ايها الرجل ، نسبنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا . » قلت ما انكرت سوءاً . ولكن ظننتكم من عشيرتي فاناسبكم . فانتسبتم نسباً لا اعرفه . ولا اراه يعرفني . » قال يزيد فامال الشيخ لثامه وحسر عمامته وقال « لعمرى لئن كنت من جذم من اجذام العرب لا عرفتك . » قلت فاني من اكرم اجذامها . قال الشيخ : « فان العرب بنيت على اربعة اركان مضر وربيعة واليمن وقضاة . فمن ايهم انت ؟ » قلت من مضر . قال الشيخ « امن الارحاء ام من الفرسان ؟ » قال يزيد فعلمت ان الارحاء خندف وان الفرسان قيس فقلت من الارحاء . قال « فانت اذاً من خندف . » قلت اجل . قال « افن الارنية ام من الجمجمة ؟ » قال يزيد فعلمت ان الارنية مدركة وان الجمجمة طابخة فقلت من الجمجمة . قال « فانت اذاً من طابخة . » قلت اجل . قال « افن الصميم ام من الوشيظ ؟ » قال يزيد فعلمت ان الصميم تميم وان الوشيظ الرباب فقلت من الصميم . قال « فانت اذاً من تميم . » قلت اجل . قال « افن الاكرمين ام من الاحلمين ام من الاقلين ؟ » قال يزيد فعلمت ان الاكرمين زيد مناة وان الاحلمين عمرو بن تميم وان الاقلين الحارث

ابن تميم فقلت من الاكرمين . قال « فانت اذاً من زيد مناة . » قلت اجل . قال « افن الجدود ام من البحور ام من الثماد ؟ » قال يزيد فعلمت ان الجدود مالك وان البحور سعد وان الثماد امرؤ القيس بن زيد مناة فقلت من الجدود . قال « فانت اذاً من بني مالك ؟ » قلت اجل . قال « افن الذرى ام من الارداف ؟ » قال يزيد فعلمت ان الذرى حنظلة وان الارداف ربيعة ومعلاوية وهما الكر دوسان فقلت من الذرى . قال « فانت اذاً من بني حنظلة . » قلت اجل . قال « افن البدور ام من الفرسان ام من الجراثيم ؟ » قال يزيد فعلمت ان البدور مالك وان الفرسان يربوع وان الجراثيم البراجم فقلت من البدور . قال « فانت اذاً من بني مالك بن حنظلة . » قلت اجل . قال « افن الارنبه ام من اللجين ام من القفا ؟ » قال يزيد فعلمت ان الارنبه دارم وان اللجين طهية والعدوية وان القفا ربيعة بن حنظلة فقلت من الارنبه . قال « فانت اذاً من دارم . » قلت اجل . قال « افن اللباب ام من الهضاب ام من الشهاب ؟ » قال يزيد فعلمت ان اللباب عبدالله ، وان الهضاب مجاشع ، وان الشهاب نهشل فقلت من اللباب . قال « فانت اذاً من عبدالله . » قلت اجل . قال « افن البيت ام من الزوافر ؟ » قال يزيد فعلمت ان البيت بنو زرارة وان الزوافر الاحلاف فقلت من البيت . قال « فانت اذاً من بني زرارة » قلت اجل . قال « فان زرارة ولد عشرة : حاجباً ولقيطاً وعلقمة ومعبدأ وخزيمة وليدأ واما الحارث وعمرأ وعبد مناة وما لكا . فمن ايهم انت ؟ » قلت من بني علقمة . قال « فان علقمة ولد شيبان ولم يلد غيره . فتزوج شيبان ثلاث نسوة : (١) مهدد بنت حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد فولدت له يزيد (٢) وعمره بنت بشر بن عمرو بن عدس فولدت له المقعد : (٣) وعكرشة بنت حاجب بن زرارة بن عدس فولدت له المامور . فلا يتهن انت ؟ »

قلت لمهدد. قال الشيخ « يا ابن اخي ما افرقت فرقتان بعد مدركة الا كنت في افضالهما . حتى زاحمك اخواك فانهما ان تلدني امهما احب الى ان تلدني امك . يا ابن اخي اتراني عرفتك ؟ » قال يزيد فقلت اي وايبك اي معرفة ! »

ومما يدل على شدة اعتناء العرب بالنسابة حديث ابى بكر الصديق مع دغفل النسابة فيما ذكره ابن عباس . قال حدثني علي بن ابي طالب : « اما امر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه وابو بكر فدفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر وكان نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة . فقال افن هامتها ام من لها زمها ؟ قالوا من هامتها العظمى . قال فاي هامتها العظمى انتم ؟ قالوا ذهل الاكبر . قال افنكم عوف الذي يقال له لا حروادى عوف ؟ (يعنى ان عوفا اذا كان بواد لا يذ كر معه ذو فضلى) قالوا لا . قال افنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا لا . قال افنكم جساس بن مرة حامي الدمار وما نفع الجار ؟ قالوا لا . قال افنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالباها نفسها ؟ قالوا لا . قال افنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال افانتم اخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فلستم ذهلاً الاكبر . انتم ذهل الاصغر . فقام اليه علام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال : ان على سائلنا ان نسأله والعبد لا تعرفه او تحمله

(يعنى انك لا تعرف ثقل الحمل الا اذا حملته .) يا هذا انك قد سألنا فلم نكتملك شيئاً . فمن الرجل انت ؟ قال ابو بكر رجل من قريش . قال بنخ ! اهل الشرف والرياسة . فمن اي قريش انت ؟ قال من تيم بن مرة . فقال دغفل امكنت والله الرامى من ثغرة نحر ك ! افنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجعاً ؟ قال ابو بكر لا . قال افنكم هاشم الذي

هشام الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف ؟ قال لا . قال افنكم
شبهة الحمد مطعم طير السماء الذي كان في وجهه قمراً يضئ ليل
الظلام الداجي ؟ قال لا . قال افن المفيضين بالناس انت ؟ قال لا .
قال افن اهل الندوة انت ؟ قال لا . قال افن اهل الرفادة انت ؟ قال لا .
قال افن اهل الحجابة انت ؟ قال لا . قال افن اهل السقاية انت ؟ قال لا .
قال علي واجتذب ابو بكر زمام ناقته فرجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم . فقال دغفل صادف درء السيل درءاً يصدعه ! اما والله لو ثبت
لاخبرتلك انك من زمعات قريش او ما انا بد غفل قال علي فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم . قال علي فقلت لابي بكر لقد وقعت من الاعرابي
علي باقعة . قال اجل ! ما من طامة الا وفوقها طامة . ان البلاء
مؤكل بالمنطق .

اما حديث البخاري الذي جعله حجة قاطعة لعدم معلومية الاب
عند العرب فانه لم يفهم معناه فقد صرح البخاري ان النكاح الموجود اليوم
كان موجوداً في الجاهلية ولم تزل عليه اشراف العرب ومن يليهم .
وانما حدثت تلك الانواع الاخرى في العصر الاخير بعد عمرو بن لحي
الذي حسن للعرب دين المجوس فصاروا يعبدون الاوثان وصارت فيهم
البغايا وهن الاماء والسواقط ولا تكاد توجد منهن امرأة من صميم
العرب فضلاً عن قريش . فما اشتهر من البغايا بمكة النابغة وهي امة
معلومة . وليست منهن وليدة زمعة بن الاسود التي عهد في ابنها
عتبة بن ابي وقاص الى اخيه سعد فتحاكم هو وعبد بن زمعة . فقضى
به النبي صلى الله عليه وسلم لعبد وامر سودة بالاحتجاب منه لان ذلك
شاذ نادر لا يعتد به . ومنهن بالطائف سمية جارية الحارث بن كلدة .
ولما طلب ابو سفيان من الحمار الذي شرب عنده بغياً لم يجد غيرها
مع كثرة اهل الطائف فقال هاتها علي او صافها الذميمة التي بين له

ولا يحتج بان اباسفيان كان من اشراف قريش لان الشاذ لا يكون اصلاً يقاس عليه .

استدل المعترض بالقسم الثاني من تقسيم البخاري وهو ان الرجل كان يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها ارسلني الى فلان فاستبضعي منه ، ويهتزلها زوجها ولا يمسها ابداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه . فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وانما يفعل ذلك رغبة في مجابة الولد . فهذا يدل ايضاً على ما ذكرنا لان هذا الذي امر امرأته ان تستبضع من الطبقة السفلى يدل عليه طلبه لولد نجيب . وذلك لعلمه انه لا يأتي بنجيب . كما قال الفيلسوف ابو العلاء المعري :

لو ان بني افضل اهل عصرى لما آثرت ان احظي بنسل فكيف وقد علمت بان مثلي خسيس لا يجيئ بغير فسل
اما القسم الثالث من تقسيم الامام البخاري وهو جماعة ياتون امرأة واحدة فتالحق ولدها بمن شئت منهم فانا نقول ان هذه معلومة عند العرب بانها بنى ذات جمال فيذهب اليها عدد من السفهاء والاحداث فيقع ما ذكر . وهذه نادرة الوجود . وانما هي وقائع قليلة حدثت بعد عمرو بن لحي كما تقدم .

اما القسم الرابع فهو البغايا المعروفات اصحاب الرايات وهن اماء وقليل من الطبقة السافلة . يدل عليه الآية الثالثة بعد الثلاثين في سورة النور « ولا تكرر هوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . » لان الفتيات في عرف القران لا تطلق الا على الاماء . يدل عليه الآية الرابعة بعد العشرين في سورة النساء « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايما نكح من

فتياتكم المؤمنات . « ولو وجد بغى بين حرائر العرب لما خص النهى عن البغاء بالاماء ، فتخصيص النهى بالاماء يدل على ان البغاء لم يكن بين حرائر العرب وان انفة العرب عن بغاء الحرائر قد اغنى عن نزول النهى عنه .

وقد كنا قصدنا في هذه العجالة الى ان نذكر بعض ما للعرب مما ينفي عنهم ما رماهم به هذا المتحامل ولسنا بصدد التنبيه على حسوه الذى يسر في ارتغائه (١) تفصيلاً لا ككتفائنا بظهور الحقيقة . ولم نتعرض للطعن في دينه قصاصاً لانا لو فعلنا لكننا مثله ولان مثل هذه الزعازع لا تؤثر في ديننا القويم . فما مثله الا مثل جبل مرت عليه ربيع فطارت في السماء وبقى الجبل كما هو . ولا ندري ما سبب غيظ الدعاة من هذا الدين الذى لا تزال الناس تعتقه ولا يرى فردخاً حارماً منه . ولم نتعرض لتبيين ما في رسالته من اغلاط واضحة في لغة العرب لقلة جدوى ذلك واتكالا على وضوحها وكثرة من يعرفها .

(١) يضرب مثلاً لمن يظهر شيئا ويضمّر خلافه .